السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تتمة)

١٦ الطائفة السريانية الكاثوليكية في القطر المصري في العصر الحاضر

قد آن لنا ان نتبسّط في الكلام عن الطائفة السريانية الكاثوليكية في وادي النيل فقد كان للسريان المنوفستيين او اليعاقبة على ما صرّحنا الحظّ الوافر في القاهرة وملحقاتها حتى القرن السابع عشر. فانضموا الى الاقباط واسسوا في عهدهٔ لا جماعة رسمية لهم ولا كنيسة ولا دير

ولما اخذ السريان ينضمّون الى امهم الكنيسة الجامعة منذ القرن الرابع عشر أنشأوا طائفةً منتظمة تألف معظمها ممّن ارتحلوا من بلاد سوريّا وما بين النهرين فنما عددهم رويدًا رويدًا حتى تكوّنت منهم طائفة لا يقلّ عددهم عن ثلاثة آلاف نسمة في القطر المصري كما سيرد بيانه قريبًا يتضح جليًا ان السريان الكاثوليك سبقوا سائر الجماعات الكاثوليكية الشرقية في الاتحاد المصرية. وكانوا في اول امرهم يراجعون البطريرك البطريركي توًا. وعام ١٨٦٦ قرّر احبار الطائفة إلحاق الابرشية المصرية بالابرشية الحلبية. ثم رسموا في سنودس الشرفة المعقود عام ١٨٨٨ ان تكون مصر ابرشية قائمة بذاتها يرعاها اسقف خاصّ ويدبّر شؤون الطائفة في القاهرة وفي الاسكندرية والسودان

وها نحن موردون اسماء الرؤساء الروحيين الذين تولّوا خدمة الملّة السريانية في القطر المصري مستندين في ذلك الى ما كتبه جناب القيكونت فيليب دي طرّازي في «السلاسل التاريخية» (ص ٣٨٠-٣٨٥)

١ ﴿القس نعمة قدسي الحلبي﴾ كان هذا الاب الفاضل خبيرًا بالعربية والسريانية والتركية. وقد درس العربية على الشيخ سليمان النحوي وعلى ابي السعود. وصنّف فيها شيئًا في الخطابة والمعاني والمنطق. وألّف يوم كان مسجونًا في قلعة آطنة سنة ١٧٠١ مع البطريرك اغناطيوس بطرس شاهدين († ١٧٠٢) الصالح الذكر والمطران

رزق الله وستة قسان كتاباً سماه «شرح الاجرومية للملة النصرانية». وانتشر كتابه هذا قبل «بحث المطالب» تأليف العلامة المطران جرمانوس فرحات. وتداولته ايدي القراء ونقلوا عن نسخته الاصلية المخطوطة بقلمه والمصونة في مكتبة دير الشرفة نسخاً شتى منها نسخة في المكتبة الشرقية لدى الآباء اليسوعيين في بيروت ونسخة في حلب وخمس نسخ في دير المخلص للروم الملكيين. ونسخ عدة كتب منها كتاب منارة الاقداس لابن العبري (١ وكتاب اعمال الرسل ورسائل مار بولس بالتركية. وكتاب «مدرك النجاة ومحجة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة» وكتاب «مختصر في الالهيات» والكتابان هما تأليف أستاذه القربان اسحق بن جبير الذي نشرنا أخباره على صفحات المشرق(١١ [١٩٠٨]: ٢٨٦). ونسخ في القاهرة سنة ١٧١١ كتاب مزامير. وكتاب اناجيل. ومحاورة جرت بين القديس مكسيموس الراهب وبيرس بطريرك القسطنطينية الشماس عبد الله بن الفضل بن عبد الله الانطاكي وهذه النسخة تخص دير المخلص تاريخها ٢٧ تموز ١٧١٦ كل ذلك بحروف طريفة انيقة. وعام ١٦٩٢ ارتسم الشماس نعمة كاهناً بوضع يد خاله المطران يشوع مصرشاه (†١٧١٥) وبعد ان قضى مع أصحابه ثلاثة اعوام في سجن آطنه أنقذهم المسيو فيريول السفير الفرنساوي فسار القس نعمة الى القاهرة سنة ١٧٠٦ وتولى خدمة السريان الكاثوليك فيها حتى سنة ١٧٣٠ فنُصب مطراناً لدمشق وتوفي سنة ١٧٤٠

٢ ﴿الخوري عبدالله سعيد﴾ تولى خدمة النفوس في مصر منذ السنة ١٧٣٠ الى ١٧٦٠

٣ ﴿الخوري يوحنا سعيد﴾ هو ابن الخوري عبدالله السابق الذكر. وُلد في اورشليم وبعد ان رُسم كاهناً سار الى القاهرة سنة ١٧٦٠ وخدم فيها السريان الكاثوليك حتى سنة ١٧٧١ وقد ورد ما يؤيد ذلك في «كتاب البستان في اخبار الرهبان» الذي

---

١) من هذا الكتاب نسخة في دير الشرفة عنها نُقلت نسخة المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت. وفي آخر النسخة الاصلية يصرّح الناسخ بما نصه: «اخرجه من اللغة السريانية واعتنى به... الشماس سركيس بن يوحنا الدمشقي الزرباني سنة ١٦٩١ ونسخهُ الشماس عبدالله ابن الشماس نعمة ابن الخوري توما... واعتنى بكمالة نسخه... نعمة بن قدسي بالاسم شماس». وهو المذكور في المتن

وصفناه (عدد ١٣ : ٢) وهو الذي نسخهُ بيده في القاهرة سنة ١٧٦٩

٤ ﴿الخوري الياس امير خان﴾ هو ابن فتح الله الديابكري انضمَّ الى الايمان الكاثوليكي سنة ١٧٧٠ وأنيطت به رعاية السريان الكثوليك في القاهرة. وكان يتولى كأسلافه خدمة نفوسهم في كنيسة مار بهنام السريانية التي سبق لنا وصفها (عدد ٩) وبعد ان قضى ثمانية اعوام في مصر نُصب رئيساً على دير مار افرام الرغم بلبنان. ثم سافر الى رومية سنة ١٧٨٦ ونشر فيها كتاب الاشحيم (حمّبعدل) وعُيّن ترجماناً في اللغتين السريانية والعربية لدى الحبر الاعظم. ثم وجّهه الى اسبانية البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروه مع القس الياس دبّ الحلبي لصالح دير الشرفة

٥ ﴿السيد ديونوسيوس ميخائيل جروه﴾ اضطُرّ هذا الحبر النبيل الى الفرار الى الاسكندرية في ٣١ اب ١٧٧٨ على أثر اعلانه الايمان الكاثوليكي في حلب. واقام سبعة شهور في دار المعلم ابرهيم شدياق. واغتنم تلك الفرصة ليوطّد السريان الكاثوليك في الايمان القويم. وكان يودّ لو يتفقّد احوال الطائفة في القاهرة على ما كتب في رسالته الموجهة الى رئيس البروبغندا بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٧٧٨ اذ قال:

« لا يمكننا الذهاب من الاسكندرية الى مصر لان فيها بطريرك للاقباط الذي يحمّ حذا البطريرك اليعقوبي. فاذا قصدنا مصر يزداد انكسار قلبنا. . . ولا نزال مقيمين في الاسكندرية مع شماسنا نقدّس ونصلي في بيت المعلم ابرهيم الشدياق »

وأوفد السيد ميخائيل من الاسكندرية الى رئيس المجمع المقدس قنطار بن بثابة هدية. وفي ٢٧ نيسان ١٧٧٩ غادر ثغر الاسكندرية الى دمياط ويافا والقدس يتعهد ابناء طائفته القاطنين في تلك الاطراف. ثم عاد الى حلب في ١٢ اب ١٧٧٩ وارتقى الى السدّة الانطاكية باسم ميخائيل الثالث في ٢٢ كانون الثاني ١٧٨٧ — ١٨٠٠

٦ ﴿السيد ايونيس نعمة الله الصدّي﴾ أعلن الايمان الكاثوليكي في ماردين سنة ١٧٨٢ وفوّض اليه البطريرك ميخائيل الثالث رعاية السريان في مصر فاقام فيها سنتين يسوس ابناء طائفته ثم شخص الى دير الشرفة سنة ١٧٨٤ وتوفي عام ١٨١٢

٧ ﴿الخوري شكر الله براغيث الحلبي﴾ قرأ العلوم في مدرسة البروبغندا ولمّا عاد الى الشرق نصبه البطريرك ميخائيل الثالث وكيلاً عنه في وادي النيل عام ١٧٨٥

٢٠ ﴿السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري الماردين﴾ درس في دير الشرفة وارتسم كاهناً سنة ١٨٨١ ومطراناً لبغداد سنة ١٨٩٥ وسُمّي نائباً بطريركياً للقطر المصري في ٣ ايلول ١٩٠٤ فدبّر الابرشيّة حتى سنة ١٩١٤ وسعى في استحصال الرخصة من الحكومة المصريّة في انشاء يا نصيب خيريّ يعود دخلهُ الى الجمعيّة الخيرية السريانية تستعين به لسدّ حاجات ذوي الفاقة. وبذل العناية كذلك في الحصول على ارض فسيحة في العباسية خُصصت بدفن المتوفين من ابناء الملة

٢١ ﴿المونسنيور روفائيل جبري الموصلي﴾ أوفده السيد اغناطيوس افرام رحماني بطريركنا الجزيل الطوبى الى الاسكندريّة في تشرين الثاني ١٩٠٥ ليجمع شتات الملة ويؤسس لها بيعة وديراً للصلاة ولسكنى كاهن الرعية. فحلّ في اوّل الامر ضيفاً في دار بطريركيّة الاقباط الكاثوليك حيث اقام سنتين تمكن في اثنائها من لمّ شعث ابناء الطائفة. ثم استأجر مكاناً سنة ١٩٠٨ جعل قسماً منه لاقامة الفروض الدينيّة والقسم الآخر لسكناه. وهو اليوم يسعى مع اعيان الملة في مشترى بقعة ارض لبناء كنيسة ودار للنيابة البطريركية. وقد أقامه غبطة السيد البطريرك منذ السنة ١٩١٤ نائباً عامّاً عنه في القطر المصري

٢٢ ﴿الخوري جرجس ابرهمشا الحلبي﴾ تولى خدمة النفوس في القاهرة سنة ١٩٠٦ وابدى من اعمال الهمّة والغيرة ما أطلق الالسنة على شكره. واننا نثني أطيب الثناء على ما اداه لنا من الخدم في كلّ ما احتجنا اليه من اخبار طائفتنا العزيزة في وادي النيل في عهدنا الحاضر سائلين المولى ان يكافئه عنا بافضل الجزاء

٢٣ ﴿القس يوسف بخاش الحلبي﴾ تلقّى العلوم في مدرسة الآباء اليسوعيين في بيروت واوفده غبطة السيد البطريرك الى القاهرة سنة ١٩١٢ ولا يزال يخدم النفوس في كنيسة مار الياس بدرب الجنينة حتى اليوم. على ان غبطة السيد البطريرك اظهر اعتنايته الابويّة ومحبّته الخصوصية لطائفته السريانيّة في الانحاء المصريّة أوفد اليها في أيار ١٩٢٣ الى القاهرة بمثابة زائر بطريركي المونسنيور جرجس ستيته فاقام ثمّ حتى سلخ تموز ١٩٢٤. وفي اذار ١٩٢٥ ارسل السيد البطريرك الى القاهرة السيد يوليوس بهنام قليان ليتولى رعاية الطائفة نيابةً عنه.

هذه هي سلسلة الرعاة والآباء الذين تولّوا خدمة النفوس في القطر المصري وجعلوا

مركزهم في القاهرة . واذا رمنا ان نخصّص الكلام عن السريان في الاسكندريّة قلنا ان الفضل في ذلك عائد الى غبطة ابينا السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني الجالس سعيداً فانه هو الذي انشأ للطائفة مركزاً في تلك الحاضرة وأوفد اليها المونسنيور روفائيل جبري الذكور آنفاً فبذل المساعي في خدمتهم وتكبّد الاتعاب في سبيل نفعهم . ولما ازداد عددهم أرسل غبطة السيّد البطريرك القس جرجس حنّال ليساعدهُ في خدمتهم ايضاً . ولا يخفى انه ما عدا عاصمة الديار المصريّة ومدينة الاسكندرية يوجد عدد وافر من السريان الكاثوليك يسكنون اليوم في طنطا والمنصورة وسائر انحاء القطرين المصري والسوداني

وامتاز السريان المصريون بغيرتهم الدينيّة ومبادئهم الطيّبة واخلاقهم الكريمة واشتهر فيهم خصوصاً عيال ضاهر ومرصلي وشدياق وابرهمشا وألطي وحمصي وبغدادي واسطنبولية وصالحاني تعاطوا التجارة وحصلوا على حظّ من الثروة وافر . وكان فرح الله ضاهر في طليعة الجميع نفوذاً ونقوداً لدى الحكّام واشتهر كذلك الخواجا يوسف بن حنانيا شدود ترجمان قنصلية فرنسا في القاهرة وكان شيخ صيارفة مصر . ومن جملتهم ايضاً نذكر الكومندور جرجس بن يوسف بن انطون ابرهمشا الذي شاد في شارع الظاهر كنيسةً على اسم والدة الله سلطانة الوردية كرّسها عام ١٩٠٤ غبطة بطريركنا السيّد اغناطيوس افرام الثاني الجزيل الطوبى

وامتاز في الاسكندريّة بمواقفه الجمّة وحسناته الوافرة حضرة الكومندور سليم جرجس بن يوسف رباط وهو الذي يسعى اليوم في تشييد كنيسة لائقة بابناء الطائفة في تلك الحاضرة . وقد زانه الله بالعطف على البائسين والرفق بالمعوزين وهو لا يزال يشملهم بكرمه وسخائه مقتفياً في ذلك وصيّة الربّ عزّ وجلّ القائل « اما انت فاذا صنعتَ صدقةً فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك (متى ٦ : ٣) . ومن الاسر السريانيّة المشهورة في الاسكندريّة أسرة بهنا وفتّال وشدياق ومخزومة الخ

ومن السريان الذين نبغوا بالعلوم والآداب في القاهرة يوسف بك شلحت الحلبيّ الذي صنّف مقالات ضافية في مواضيع شتى ورسائل شائقة نُشرت في المجلات المصريّة . وقد عزّ على غير واحد من المعجبين بنصّه ولهجته ان ينظروا تلك اللآلئ في كتاب ينشرونه بالطبع ضنّاً بها وحرصاً عليها . واشتهر كذلك الاديب يوسف بن

اليان سركيس الدمشقي الذي صنّف كتاب «أنفس الآثار في أشهر الأمصار» ونشر كتاب «الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب» وعرّب روايتي «عاصر وشجعان» و«الرحلة الجوية» و«مانة حكاية قصيرة» وأنشأ مقالات نشرها في مجلة المشرق. ووضع كتاباً يحتوي على فهارس أسماء الكتب العربية المنشورة بالطبع وأسماء مؤلفيها او ناشريها. وسيمثله للطبع قريباً على ما بلغنا

ويحلو لنا ان نختم مقالنا هذا بذكر ما جرى في الديار المصرية للسيد يوليوس انطون سمحيري مطران ماردين قبل ارتقائه الى العرش البطريركي فانه بعد ما قضى مصالحه في القسطنطينية سافر بحراً في مركب عثماني الى رودس فتعرّضت له مراكب مصرية لسبب الحرب الثائرة يومئذ بين السلطان محمود ومحمد علي باشا خديوي مصر. وساقته عنفاً الى الاسكندرية. ولما وصل السيد سمحيري الى الثغر اوفد جواز سفره الى المسيو ميمو القنصل الفرنساوي فاوفد من فوره ترجمانه فنقله من المركب وأركبه حصاناً وسار به الى دير الآباء الفرنسيسيين. ثم توجه الى القاهرة لزيارة ابناء الطائفة فاستقباوه كملاك هابط من السماء واغتبطوا برؤيته. وسأله الاكليرس القبطي الكاثوليكي والوجهاء ان يرسم لهم مطراناً واستأذنوا في ذلك البابا غريغوريوس السادس عشر فأجاب الخبر الاعظم الى التماسهم وكتب براءة رسولية فيها خوّل السيد انطون سمحيري ان ينتخب الاب ثاردورس جاد الكريم مطراناً للاقباط. فاحتفل برسامته بموجب الطقس السرياني في ٢٢ حزيران ١٨٣٢. وكأنه بذلك أعاد للسريان والقبط ما كانوا عليه في سالف الاحقاب من الاتحاد والاتفاق. واقام السيد سمحيري في القاهرة سنة كاملة جمع في اثنائها من سخاء المؤمنين خمسة عشر الف قرش ساعدته على وفاء ديونه في ماردين (١

ولا يزال السريان في الاصقاع المصرية ناهجين نهج آبائهم وأجدادهم في احترام الدين ورؤسائه. وبسط كف الاحسان للمساكين تلافياً لشقائه. زادهم المولى الكريم فضيلة وفضلاً وسكب عليهم شآبيب نعمائه وآلائه (تمت)

---

(١) اطلب مقالتنا عن البطريرك انطون سمحيري في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٤٠١–٤٢٣)